

زيارة الأربعين وأبعادها الاستراتيجية في مناهضة
الاستكبار العالمي.

أ.م. الدكتور أحمد حسن قاسم.

جامعة ذي قار كلية التربية للبنات

ahmad4112009@gmail.com

ملخص البحث

من رحمة الله ولطفه بعباده أن جعل لهم أواصر ارتباط بيّنه وبينهم، تشدّهم نحو الصواب وترشدّهم إلى الغاية، وهذه الأواصر بمثابة محطات التزود، أو هي «طاقة إيجابية» كما يصطلح عليها في التنمية البشرية وهذه الطاقة طالما يحتاجها الفرد في ظل علاقته مع الله تعالى، ومن تلك المحطات هي زيارة الامام الحسين بن علي (عليه السلام) في العشرين من شهر صفر، المسماة بزيارة «الأربعين» فهي أقوى صلة الهية تعزز من علاقة الفرد بربه ففيها يستعيد قواه ويحفر طاقته نحو هدفه، فتغرس هذه المراسيم القيسم كلها التي يريدّها الله لعباده، فينبغي ان يوظف هذا الموسم الاخلاقي والاجتماعي والديني والسياسي بوظيفته الحقيقية ويستخلص منه نتائج الفعلية لنستلهم منه القوة لنضمن بها المستقبل ولا أرى أهمية بالغة من التوظيف في مجابهة العدو الذي يتربص بنا الدوائر، فتشخيص العدو الحقيقي يعني المعرفة ومواجهته تعني الشجاعة، وكلا المفهومين هما عاملان اساسيان في خلود الامام الحسين (عليه السلام) واستمرار ثورته.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، الابعاد الاستراتيجية ، مناهضة الاستكبار العالمي.

”The significance of the Arbaeen pilgrimage and its strategic dimensions in countering global hegemony.”

Assistant Professor Dr. Ahmed Hassan Qasim.
University of Thi Qar College of Education for Girls.

Abstract:

“From the mercy and kindness of God to His servants is that He established bonds of connection between them and between Himself guiding them towards what is right and directing them towards their goal. These bonds serve as stations for replenishment or what is often termed as ‘positive energy’ in human development. Such energy is essential for an individual in their relationship with the Almighty. One of these stations is the visitation of Imam Hussein ibn Ali (peace be upon them) on the 20th of Safar known as the ‘Arbaeen’ visitation. It represents the strongest divine link that strengthens an individual’s connection with their Lord. Through it one regains strength and stimulates their energy towards their purpose instilling the values that God desires for His servants.

Therefore it is crucial to employ this ethical social religious and political label in its true function and extract its actual outcomes. We derive strength from it to secure the future. I see no greater importance than utilizing it in confronting the lurking enemy circles. Diagnosing the true enemy signifies knowledge while confronting it signifies courage. Both concepts are fundamental factors in the perpetuity of Imam Hussein’s legacy and the continuation of his revolution.

Keywords: Arbaeen visitation strategic dimensions global hegemony opposition.”

مقدمة

الأحكام الشرعية التي سنّها الله تعالى وبينها النبي الأكرم والأئمة الأطهار عليهم السلام والتي ملاكها الحب والبغض عند مشرعها، هي في حقيقتها قوانين تنظم سلوك الأفراد لتخلق مجتمعاً متكاملًا يرفل بالسعادة في الدنيا والأخرى. فكلّ حكمٍ شرعيٍّ سواءً كان ملاكهُ الحب أو البغض فيه جنبتان الأولى، المادة. والثانية، الميتافيزيقية. فالصلاة مثلاً جنبتها المادية هي الأفعال المخصوصة من قيامٍ وعودٍ وركوعٍ وسجودٍ، فالامتثال لها هو الإداء المادي للفعل. أما الجنبه الميتافيزيقية هو غرضها التي بينه الله تعالى في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وبعبارةٍ أخرى إنّ فعل الصلاة في نظر المشرع هو وسيلةٌ للوصول إلى الغاية التي يريدّها منه. وعليه فإنّ الغاية وفق هذا هي أسمى من الفعل المادي، فلا قيمة للفعل دون غايته، وهكذا بقية الأحكام الشرعية التي يريدّها الله تعالى.

وزيارة الإمام الحسين عليه السلام بوصفها حكماً شرعياً أكدت عليها الكثير من النصوص الدينية الصادرة من المعصومين عليهم السلام أيضاً تتضمن جنبتانٍ أحدى إداء الفعل والحضور عند قبر الإمام الحسين عليه السلام. والأخرى هي المعرفة التي نصت عليها الأحاديث الشريفة، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: (من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) (ابن قولويه القمي، كامل الزيارات: ١٤٥). فالمعرفة هي ميتافيزيقية فعل الزيارة وأدائها، وبدونها يكون الفعل خالٍ من غرضه الأساسي الذي شرع من أجله، كما يتعري فعل الصلاة المادي من غايته وغرضه الذي وضعت له. ومن هذا المنطلق حاولت أن أسلط الضوء على الأبعاد الاستراتيجية التي تتضمنها زيارة الإمام الحسين في يوم الأربعاء في مناهضة الاستكبار العالمي الذي

يشكل الخطر الأكبر على الإسلام والمسلمين، والزائرون هم الامتداد الطَّبِيعِي لحمل المبادئ السامية التي خرج من أجلها الإمام الحسين ضد التَّغَطُّرْس والاستبداد.

اهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أمرين هما:

١. الوقوف على الأبعاد الاستراتيجية التي نستخلصها من زيارة الأربعين بوصفها مصدر قوة لوحدة المسلمين.
٢. الكشف عن ماهية العدو الأساسي الذي يسعى للنيل من الإسلام، وإضعاف قوة المسلمين.

هدف البحث: يهدف البحث الى امرين مهمين هما:

١. بيان وتثقيف الجماهير المليونية الوافدة على مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) بأنها ليست شعيرة دينية، فحسب بل هي حاوية لكل مضامين القوة التي يمكن تصديرها لسائر المسلمين في العالم.
٢. إبراز الأبعاد الاستراتيجية إعلامياً وتوظيفها كأدوات رصينة في مناهضة الاستكبار الدولي.

مشكلة البحث: أحاول من خلال البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما مشروعية زيارة الأربعين في الدين الإسلامي؟
٢. هل زيارة الأربعين مسألة طائفية خاصة بالمذهب الشيعي؟
٣. كيف نصدر زيارة الأربعين للعالم على أنها صوت للمظلومين؟
٤. من هو الاستكبار العالمي؟
٥. لماذا نجعل من الشعيرة الدينية أبعاداً استراتيجية لمقارعة الاستكبار؟

هيكلية البحث:

ينقسم البحث إلى تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة المصادر، وهي كالتالي:

- التمهيد: استعرضت فيه أهم المفاهيم التأسيسية للبحث.
- المطلب الأول: ذكرت فيه البعد السياسي.
- المطلب الثاني: بينت فيه البعد الاقتصادي.
- المطلب الثالث: تطرقت فيه للبعد الاجتماعي.
- المطلب الرابع: تناولت فيه البعد الاخلاقي.
- الخاتمة: لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

مفاهيم تأسيسية

بادئ ذي بدء أفكك مفردات البحث الأساسية الواردة في العنوان، وأشرحها بما يتلاءم مع طبيعة الدراسة، لبيان ما أروم إليه وإيضاح ما أقصده، وهذا كله بمثابة التأسيس الذي يبني عليه البحث ويتفرع منه المباحث والمطالب. ويشمل البيان ثلاثة مفاهيم هي:

أولاً: الاستراتيجية (Strategy).

إنَّ الاستراتيجية كمصطلح مشتقة من الكلمة اليونانية (STRATEGIS) والتي تعني: فن قيادة القوات المسلحة. ولذا عرفها كلاوزفيتز (CLAUSEWITZ) مؤسس علم الاستراتيجية التقليدية في القرن التاسع عشر الميلادي الذي درس العلوم العسكرية على أسس عقلية بأنها: «فن استخدام الاشتباك من أجل هدف الحرب» (الحمداني،

الابعاد الاستراتيجية الاوربية في الشراكة الاورومتوسطية: ص ١٠). وهذا التعريف وفق مفهومه الأساسي الذي يقول بأنَّ الحربَ هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى (الكيلي، الموسوعة السياسية: ج ١، ص ١٦٩).

أنتقد الكاتب العسكري البريطاني ليدل هارت (LIDDELL HART) تعريف «كلاوزفيتز» للاستراتيجية عدة انتقادات، منها: إنَّها تدخل هذه الفكرة في حقل السياسة او في أعلى مستوى لقيادة الحرب، وهذه الامر يتعلق بمسؤولية الدولة لا بحدود عمل القادة العسكريين الذين تستخدمهم السُّلطة الحاكمة ليقوموا بمهامهم في إدارة العمليات وتنفيذها، والانتقاد الآخر هو ان كلاوزفيتز قد حدد معنى الاستراتيجية فيما يتعلق باستخدام المعارك فقط، أي انه كرس كل الاعتبارات والامكانيات في الحرب عن للبحث عن المعركة التي تحقق الحل الحاسم بقوة السلاح (الحمداي، الابعاد الاستراتيجية: ص ١٠)

وكذلك أنتقده جملة من القادة والمنظرين العسكريين الأخر من أمثال: (اندرية بوفر الفرنسي) و(ماو سي تونغ الصيني) و(فاسيل سوكولوفسكي الروسي) وغيرهم؛ للأسباب ذاتها، ثم تطور المصطلح فاستعملت الاستخراجية بأبعادها المتعددة السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والبشرية وغيرها من الابعاد ليتسع معنى أشمل وأوسع بكثير من تعريف «كلاوزفيتز» الذي اختزله في النطاق العسكري الحربي، فعرف بتعريفات كثيرة أذكر منها اثنتين هما:

- علم وفن وضع الخطط العامة المدروسة بعناية، والمصممة بشكل متلاحق ومتفاعل ومنسق، لاستخدام الموارد -مختلف اشكال الثروة- لتحقيق الاهداف الكبرى (الكيلي، الموسوعة السياسية: ج ١، ص ١٦٩)

- هي مجموعة الاجراءات التي يمكن معها اختيار البدائل في مراحل العمل المختلفة (زيتون، المعجم السياسي: ص ٢٦)

وعليه فإنَّ الاستراتيجية التي أقصدها من هذه الدراسة هو المعنى الواسع والشامل لها المتضمن أبعاداً مختلفة وهذا ما أقصده من العنوان الذي أوسمت البحث به، وهذه الابعاد سأستخلصها من زيارة الامام الحسين عليه السلام في الاربعين لما تحويه هذه مقومات من شأنها تغير المعادلة البوصلة العامة.

ثانياً: زيارة الأربعين.

هي زيارة سبط رسول الله الامام الحسين بن علي عليه السلام في العشرين من شهر صفر وتأتي الزيارة بعد مرور اربعين يوماً من واقعة كربلاء في العاشر من محرم، التي على اثرها سبي اهل البيت من النساء والاطفال تتصدرهم عقيلة الطالبين زينب بنت امير المؤمنين عليها السلام وطافوا بهم المدن الى ان حملوهم الى الطاغية يزيد بن معاوية حاكم دمشق وبعد لقائه بهم والنيل منهم امر بأطلاق سراحهم فعادت تلك العائلة المنكوبة المهضومة الى كربلاء مجدداً وكان وصولهم الى قبر الامام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر. والتقت العائلة اتفاقاً بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قدم ايضاً لزيارة المولى ابي عبد الله الحسين عليه السلام.

وتسمى هذه الزيارة بمراد الرؤوس لان رأس الإمام الحسين واهل بيته عليهم السلام الذين قضوا في كربلاء لم تدفن في حينها بل حملوها مع سبي العائلة. فيوم العشرين هو دفن تلك الرؤوس الشريفة. فيعد يوم العشرين يوم مصيبة وحزن على اهل البيت عليهم السلام لما فيه تجديد لمأساة كربلاء، لذا قال الشاعر السيد هاشم البحراني (رحمه الله):

قم جدد الحزن في العشرين من صفر

ففيه ردت رؤوس الآل للحفر

(الهنداوي، مجمع مصائب اهل البيت عليه السلام: ج ٣، ص ٢٣٩)

وقد خص اهل البيت عليه السلام هذا اليوم لزيارة المولى أبي عبد الله لما فيه من رمزية الحزن والاسى المتجدد، وتعد هذه الزيارة هي علامة فارقة للمؤمن من سواه، وان دل يدل على اهميتها وعظمتها عند الله تعالى، قال الامام الحسن العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم» (النيسابوري، روضة الواعظين: ج ١، ص ٤٤١) واما الفضل في زيارة الامام الحسين عليه السلام فهو اكبر من ان يحصى هنا ويذكر، اكتفي بكذر خبرين.

روى ابن قولويه بسند متصل عن ابان، قال: سمعته يقول:، قال أبو عبد الله: «من أتى قبر ابي عبد الله فقد وصل رسول الله ووصلنا وحرمت غيبته وحرم لحمه على النار، وأعطاه الله بكل درهم انفقه عشرة آلاف مدينة له في كتاب محفوظ، وكان الله له من وراء حوائجه وحفظ في كل ما خلف، ولم يسأل الله شيئا الا أعطاه وأجابه فيه، اما ان يعجله واما ان يؤخره له» (قولويه القمي، كامل الزيارات: ١٣٤)

وروى ايضا عن الامام الصادق عليه السلام قال: «من زار الحسين عليه السلام من شيعتنا لم يرجع حتى يغفر له كل ذنب، ويكتب له بكل خطوة خطاها وكل يد رفعتها دابته الف حسنة ومحي عنه الف سيئة وترفع له الف درجة» (ابن قولويه القمي، كامل الزيارات: ١٤١)

ثالثا: الاستكبار العالمي.

الاستكبار مأخوذ من التكبر وهي من الصفات الذميمة والآفات العظيمة التي يتصف بها الانسان، وحقيقة التكبر هو الركون الى رؤية النفس وتعظيمها على الغير واعتقاد المزية والرجحان عليه، والعمل بمقتضى هذه الصفة يفضي الى نتائج منها: تحقير الاخر والازراء به والترفع عن مجالسته والاستنكاف عن مرافقته مصاحبته وابعاده عن نفسه وعدم الالتفات اليه في المحاورات وتوقع التقديم عليه في كل ما يدل في المحافل وتصدر عليه اظهار العزته وبيان لذلة غيره (النراقي، جامع السعادات: ج ١: ٢٦٦-٢٦٧)

وقد ذم الله تعالى في مواطن عديدة من القران الكريم كل من يتصف بهذه الصفة الرذيلة وجعل النار مثوى لهم بما كانوا يستكبرون. قال تعالى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠] [الزمر: ٧٢]. وقال تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]. قال تعالى ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

والاستكبار العالمي الذي اقصده في هذه الدراسة هو القوى الكبرى المتغترسة التي تستضعف الشعوب وتنهب خيراتها وتحتل اراضيها، المتمثلة بأمريكا وبريطانيا وإسرائيل وغيرها. وهذا المصطلح اطلقه علمؤنا الاعلام منهم: الامام الخميني (قدس سره) والسيد الشهيد محمد الصدر رحمته والامام الخامنئي (دام ظله).

وللامام الخامنئي خطابات كثيرة في تحديد هوية هذا الاستكبار حيث قال: « من أعظم مسؤوليات الإنسان حيثما وجد معرفة حدوده القانونية وعدم تجاوزها، وتجاوز الحدود ما هو إلا عبارة عن الاستبداد والاستكبار بما ينطويان عليه من مفهوم قبيح ومشين؛ وأعظم خطر يحيق بالإنسان هو أن يستحوذ عليه الاستبداد والاستكبار، وهذا وبال ربما يصاب به الجميع أيضاً» (خطاب الامام الخامنئي في طهران بمناسبة عيد الفطر المبارك بتاريخ ١ شوال ١٤٢٢هـ). وقال أيضاً: « إن النزاع الدائر في العالم - سواء في الماضي أو الآن أو في المستقبل - سببه أن القوى الاستكبارية تسعى إلى تقرير مصير الشعوب وفق ما تشاء» (خطاب الامام الخامنئي في طهران بمناسبة عيد المعلم والعمال بتاريخ ٣ ذي الحجة ١٤١٥هـ).

وما أرومُ إليه مما تقدم من «المفاهيم التأسيسية» هو التَّنظير لموضوعات البحث التي سأتناولها عبر المجالات الاستراتيجية وأبعادها والتي من شأنها أن تكون عاملاً مناهضاً للاستكبار العالمي وهذه الأبعاد هي مستخلصة من زيارة الامام الحسين عليه السلام في زيارة العشرين من شهر صفر، وأختصر أربعة منها هي:

- المبحث الاول: البعد السياسي.
- المبحث الثاني: البعد الاقتصادي.
- المبحث الثالث: البعد الاجتماعي.
- المبحث الرابع: البعد الاخلاقي.

المبحث الاول البعد السياسي

لا شك بان الدافع الاساسي الذي حرك المؤمنين في القصد الى زيارة الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء هو دافع ديني بامتياز، الذي يأطر ضمن عنوان «مودة قربي النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) التي أمرنا بها كمسلمين، لذا قال تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى : ٢٣]. والمودة بمحتواها تضم اظهار الولاء لهم والبراءة من اعدائهم. راجين بهذا طلب الثواب ومغفرة الذنوب. وعليه فان زيارة الامام الحسين (عليه السلام) هي مراسيم دينية خالصة لله يؤديها المؤمن قرابة له واحياء لأمر اهل بيت النبي الاكرم . الذي مرجعه احياء لدين الله تعالى وقيام أمره.

والله (سبحانه وتعالى) يريد منّا اعلان هذين الامرين المهمين «الولاء والبراءة» في المراسيم العامة والتي يتجمع بها الناس، لأنه اعلان لمباني الدين واسسه وبيان موقفه الرسمي الذي ينبغي ان يصل الى الاخر، وهذا نجده جلياً وواضحاً في مراسيم فريضة الحج وقد نص عليها تعالى حيث قال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة : ٣]. والاذان هو الاعلام الناس بالبراءة من المشركين أي بيان الراي الرسمي الصريح لله تعالى ورسوله في الرفض القاطع لكل ما له صلة بالمشركين. ولعل السبب الابرز في امر الله تعالى نبيه بإعلان البراءة لان الناس مجتمعون وهذا الاجتماع يمكن الاستفادة منه في ايصال هذا الامر المهم لأكبر عدد ممكن.

ومن نافلة القول بان ديننا الاسلامي هو منظومة متكاملة ووحدة معرفية لا يمكن ان تتجزأ بشكل من الاشكال بمعنى ان الدين شامل لكل ابعاده الحياتية من السياسية والاقتصاد والاجتماع وغيرها، كما انه حاوي للأخلاق والتربية والتهديب،

فهو دين حياة وممات، والبراءة هنا فيها جنبتان جنبه دينية وجنبه سياسية، فالدينية هم اعتنقوا ديننا غير دين الاسلام واشركوا بالله الواحد القهار والسياسية بانهم يشكلون خطرا على المسلمين بوصفهم اناس ظلمة قتلة يريدون السيطرة على مقدرات المسلمين. ومن هنا اراد الله تعالى ان يعلن هذا الرفض من خلال التجمع الذي يضم عددا كبيرا من الناس ويبين النبي الاكرم موقفه الرسمي الديني والسياسي من هؤلاء المشركين الظالمين.

وإذا اردنا المقاربة بين الشعيرتين المقدستين الحج زيارة الامام الحسين عليه السلام من حيث الاجتماع والعدد، فنرى بان اعداد زيارة الامام الحسين تفوق حجاج بيت الله بعشرة اضعاف، وهذا يعطي انطبعا واضحا بان توظف توظيفا صالحا لإعلاء كلمة الدين واطهار المبادئ والقيم الحسينية التي اسست عليها الشعائر ولا سيما بان مفهوم البراءة حاضر في زيارات الإمام الحسين عليه السلام التي وردت عن اهل البيت فالزيارة عاشوراء الواردة عن الامام الصادق يخاطب بها الامام الحسين قائلا:

«يا ابا عبد الله اني اتقربُ الى الله وَاِلى رَسُوْلِهِ وَاِلى اَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَاِلى فاطِمَةَ وَاِلى الْحُسَيْنِ وَاِليكَ بِمُؤَالَاتِكَ وَاِلى الْبِرَاءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ وَاِلى الْبِرَاءَةِ مِمَّنْ اَسَسَ اَسَاسَ الظُّلْمِ وَاِلى الْجُوْرِ عَلَيْكُمْ وَاَبْرَأُ اِلى الله وَاِلى رَسُوْلِهِ مِمَّنْ اَسَسَ اَسَاسَ ذَلِكَ وَاَبْنَى عَلَيْهِ بُنْيَانَهُ وَاَجْرَى فِي ظُلْمِهِ وَاَجْوَرَهُ عَلَيْكُمْ وَاِلى اَشْيَاعِكُمْ، وَاِلى الله وَاِلى اَيُّكُمْ مِنْهُمْ وَاَتَقَرَّبُ اِلى الله ثُمَّ اِليكُمْ بِمُؤَالَاتِكُمْ وَاِلى الْبِرَاءَةِ مِنْ اَعْدَائِكُمْ وَاِلى النَّاصِيَيْنِ لَكُمْ الْحَرْبَ وَاِلى الْبِرَاءَةِ مِنْ اَشْيَاعِهِمْ وَاَتَّبَاعِهِمْ، اِنِّي سَلِّمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ وَاَحْرَبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَاِلى مَنْ وَاِلى الْاَكْثَرِ وَاِلى مَنْ عَادُوْكُمْ» (المجلسي، بحار الانوار: ج ٩٨، ص ٢٩٥) إذن ينبغي علينا كمؤمنين لزاما أن نعتنم هذا الاجتماع الأكبر ونعلن البراءة من الظالمين والمتجبرين، كما نظهر ولاءنا للإمام الحسين عليه السلام بالحضور

عند قبره الشريف. وهذا ما حصل فعلاً ويحصل في كل سنة من سنوات الزيارة، فمبدأ البراءة من القوى الظالمة المتغترسة معلن عنه وحاضر عندهم، ويكون عبر أمور هي:

أولاً: رفع الشعارات.

الشعار هو كلمة والكلمة هي موقف والموقف هو من يحدد صلاح الانسان من فساده، فاذا رفعت شعارا يعني ذلك بانك تبنيت موقفا معينا اما ان تسعد به او تشقى، ولذلك شدد الله سبحانه على الكلمات التي تخرج منا، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. كما انه تعالى شدد على الكلمات الخالية من المواقف قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

والامام الحسين (عليه السلام) ذاته رفع شعاراً في كربلاء عنوانه «هيهات منا الذلة» في وجه الظلم والطغيان، وفعلاً قضى كما هو عزيزاً أياً لم يداهن او يستسلم، واتباعه وشيعته في زيارة الاربعين ايضاً رفعوا شعارات مناهضة للاستكبار العالمي هي «الموت لأمريكا» «الموت لإسرائيل» «امريكا الشيطان الاكبر» «كلا كلا امريكا» «كلا كلا اسرائيل» «كلا كلا للتطبيع» وغيرها من الشعارات الدالة عن رفض هؤلاء المؤمنين للهيمنة العالمية غطرتها. وقد يسأل ما قيمة رفع الشعارات القولية مقابل قوة كبيرة وظالمة مثل امريكا وغيرها، وقد يجب عن هذا السؤال سماحة الامام الخاتماني (دام ظله) قائلاً:

«للشعارات التي ترفع في أي بلد وفي أي نظام، أهمية فائقة، والتعامل مع الشعارات المختلفة في أي بلد يحظى بحساسية ورونق خاص. وإذا كان ذلك الشعب أو المسؤولون لا يتقنون كيفية التعامل مع الشعارات، فإنهم سيتعرضون لأضرار جسيمة.

وبطبيعة الحال يتناهى إلى الأسعأ أحياناً ما يرده البعض: أن اليوم ليس يوم شعارات وإنما يوم عمل. وهذا الكلام غير صحيح، وإن كان بعض من يتلفظ به تحدوه نية مخلصه، ومراده أن البلد لا يمكن إدارته بالشعارات وحدها، وهو كلام صحيح إذ إطلاق الشعارات لا يصلح شأن البلد، بل ولا يصلح حتى شأن قرية ولا يديرها ولا يبينها، فلا بد إلى جانب الشعار من العمل، إلا أن البعض يفسر هذا الكلام عن سداجة بشكل آخر، أو ربما فسره البعض الآخر عن غرض وكأثم يريدون الإيحاء إلى الشعب بوجوب التخلي عن الشعارات. وهذا خطأ فالشعار كالراية، مرشد ودليل، والعمل بلا شعار كالشعار بلا عمل.

ولأجل أن يعرف شعب مساره، وما ينبغي له فعله، فلا بد له من الحفاظ على شعاراته بصراحة ووضوح. وإذا فقدت الشعارات، يصبح الحال كحال جماعة من الناس تسير في الصحراء من غير دلالة. الخاصية المميزة للشعار أنه لا يدع شعباً أو بلداً يسير في الطريق المنحرف. إذن فليكن هذا شعاراً أيضاً: الشعار والعمل الشعار إلى جانب العمل، والعمل في ظل الشعار (خطاب الامام الخامئي في طهران بمناسبة اليوم الوطني لمقارعة الاستكبار العالمي. بتاريخ: ١٧ جمادى الثانية ١٤١٧ هـ).

ثانياً: رمزية الأعلام.

العلم في حقيقته قطعة من القماش يحظى بمكانة وقداسة الدولة الذي يمثلها وعليه فأي تنكيل يحصل للعلم يعني ذلك تنكيلاً للدولة. واي اكراما يحصل له ايضا يعني اكراما للدولة الذي يمثلها. والانسان اذا اراد ان يعبر عن سخطه ازاء موقف معين او سياسية معينة فيعمد الى ما يمثل تلك الدولة وهو العلم، واذا اراد ان يفتخر بدولة معينة ايضا يرفع من شأن ذلك العلم.

ان امريكا وسائر الدول الاستكبارية تنهج منهج الظلم واستعباد الشعوب فمن الطبيعي ان تكون هناك ردود افعال من قبل الشعوب المستضعفة، وعادة يحصل هذا الاستياء في التجمعات العامة لعرضها على الراي العام، وهذا ما حصل في زيارة الاربعين فنجد ان بعض المؤمنين يقومون بإهانة العلم الامريكي والاسرائيلي وضعه على الارض لغرض سحقه بأقدام المشاة من الزوار (ينظر: الى صورة رقم (١) في الملحق). ويعد هذا النوع من اشد انواع الرفض لسياسة الاستكبار العالمي. وفي الوقت ذاته نرى بان الاعلام التي تشكل خطراً على السياسة الامريكية والإسرائيلية ترفع وسط جموع الزائرين كعلم «الجمهورية الاسلامية الايرانية» و«علم حزب الله» و«علم الحشد الشعبي»، وهذا بحد ذاته بعدا استراتيجيا كبيرا يعكس نوعاً من انواع المقارعة لهذا الاستكبار العالمي (ينظر: الى صورة رقم (٢) في الملحق).

ثالثاً: الإرادة السياسية.

يجتمع العالم من الشرق والغرب في الزيارة الاربعية فيتعرف بعضهم على البعض الاخر من خلال المشي او مكوثهم في المواكب، يتبادلون الاحاديث يشاهدون المناظر التي ملؤها الحماسة والثورية، فهذا يولد العزيمة في نفوس الكثير

من لم يشاهدها من قبل، فهذه المشاهد هي بمثابة الجرعة الولائية والشحنة السياسية التي يمكن تخلق روحا مختلفة عند رجوع هؤلاء الزائرين الى بلدانهم وخصوصا الرازين تحت سطوة الانظمة الخاضعة للسياسة الامريكية والاسرائيلية.

اتذكر في عام ٢٠٠٨ كنت جالسا في حرم امير المؤمنين اقرار زيارة «امين الله»، واذا بزائر من ورائي وضع يده على ظهري وحركها فالتفت اليه فسلم عليّ بابتسامة فرددت وبادلته الابتسامة فسألني سؤالي يتعلق في الحضرة العلوية فأجبتته، ثم استرسل في الحديث، فقال: إني من الصّومال أحمل الجنسية البريطانية كنا اموات قبل عام ٢٠٠٣، ثم عادت لنا الحياة بمشاهدة الزيارة الاربعينية، فحياتنا نحن الشيعة في تلك البلدان هي مشاهد الزوار هي قوتنا. وبدونها ربما اخسر حتى اولادي بابتعادهم عن هذا النهج الحسيني. وهذا كشاهد حي على خلق الارادة في نفوس هؤلاء المؤمنين. وصدق السيد الشهيد محمد (رحمه الله) عندما قال: «فان السير الى زيارة الحسين عليه السلام ايضا شوكة في عين المستعمرين عامة واسرائيل خاصة» (خطبة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم، رقم الخطبة بتاريخ ١١/١٢/١٩٩٨)

رابعاً: الشجاعة القلبية.

من الاساليب التي دأب عليها الظالمون والمستكبرون على مر تاريخهم هو استضعاف الناس واخضاعهم أي انتزاع شجاعة المواجهة كي لا يعترضوا عليهم، وهذا الاستضعاف يمارسوه بشتى الطرق الاجرامية سواء كان تهجيراً او قتلاً وغيرها، ويقص الله تعالى حال فرعون واسلوبه القمعي، قائلاً: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّبِحْ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]. ومن الملفت بان الاستعلاء والتجبر يصحبه اساليب

اجرامية وينتج نتائج فاسدة على المجتمعات، وهذا ما نراه من الدول الاستكبارية التي احتلت الشعوب باستعلاء وتجبر انتهجت نفسها اساليب فرعون التي اخبر الله تعالى عنها، فأمرىكا في العراق فعلت افعالا مماثلة وكذلك اسرائيل في فلسطين كذلك. والغرض كما اسلفت هو اخضاع تلك الشعوب الى سيطرتها.

وهذا المعنى اوضحه السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره) في احدى خطبه قائلا: «إنَّ أمريكا وإن زعمت تحكيم سيطرتها على كل العالم حتى أصبح العالم - كالقرية الصغيرة - كما يعبرون، إلاَّ إنها لن تستطيع إزالة إيمان المؤمنين وقوة الشجعان المجاهدين، فإنها استطاعت السيطرة على أجسادنا فإنها لن تستطيع السيطرة على قلوبنا وعقولنا» (خطبة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم. رقم الخطبة (٣٧) بتاريخ: ٦ رمضان ١٤١٩هـ).

وكذلك بينه سماحة الامام الخامنئي (دام ظلّه) قائلا: «إن مسؤوليتنا - أنا وأنتم - اليوم في غاية الخطورة، فيجب شق الطريق بعقل وتدبر إلى جانب التوكل على الله والتحلي بالشجاعة وليس الجبن، وأول المهام هو التماسك الداخلي، فلا تدعوا هذه الجدالات والسجلات تتحول إلى مواجهة ونزاع وخصام وهذه وصيتي الوحيدة لكم» (لقاء الامام الخامنئي مع اعضاء مجلس الشورى الاسلامي في طهران، بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٤هـ). فالزيارة الاربعينية هي مصدرٌ معززا للطاقة الايجابية في زرع الشجاعة القلبية عند المؤمنين لانهم يستلهمون من قائدهم أسمى صور التضحية والإباء التي تحلى بها امام أعنى مستكبر طاغوت.

المبحث الثاني البعد الاقتصادي

تسعى أمريكا والدولة الظالمة الى اذلال الشعوب اقتصاديا تفرض عليها العقوبات الاقتصادية من خلال الحصار او نهب الثروات بالهيمنة النقدية في البنك الفيدرالي وغيرها من الاساليب الاخضاع. لخلق دول ضعيفة مطيعة للسياسية العامة التي تنتجها. وقد شخّص الإمام الخامنئي هذا الخطر قائلاً: « يريد الاستكبار سواء في إيران أو سائر البلدان الإسلامية شعوباً مأسورة ذليلة مطأطئة مطيعة له لا شأن لها بمفاخرها وتراثها الثقافي، شعوباً لا تبدي تحفظاً إزاء عمليات النهب لثرواتها المعنوية والمادية» (خطاب الإمام الخامنئي خطبة صلاة العيد في طهران بتاريخ: ١ شوال ١٤٢٣هـ).

وهذا ما ارادته أمريكا وسائر الدولة المتحالفة معها في العراق، عندما احتلت ارضه فأرادت نهب خيراته والسيطرة على موارده الاقتصادية كالنفط والمنافذ البحرية والبرية لإخضاعه واذلاله الا ان الشباب الاشوس من المقاومة الاسلامية حالت بينها وبين مشاريعها الشيطانية واذاقتها مرارة الهزيمة بضرباتها الموجهة حتى قتل اكثر من خمسة الاف من مقاتليها الى ان اضطرت لمغادرة العراق في جنح الليل المظلم.

وبقيت عين الاستكبار تلاحق العراق كانه ضيعة لها فغدت تخلق له أزمات اقتصادية بين الفينة والأخرى بغية إضعافه ووضعها في حلق أسرها، وذلك من خلال التلاعب في المبيعات النفطية وغيرها كونها تعود إلى البنك الفيدرالي الأمريكي، فمتى شاءت سياستها تقبضت ومتى شاءت تبسطت. تظن بأنها تسيطر على الشعب

تذله أو يكون شحيح النفس وبالتالي تضعف عزيمته في كل مورد له صلة باقتصاده وانفاقه.

لا يختلف اثنان على ما يبذل لزائري الإمام الحسين (عليه السلام) في الأربعينية فهو يفوق الوصف والكرم، وكل ما يقدم من خدمات طيلة الزيارة هو جهود ذاتية شخصية ليس من مختصات المؤسسات الحكومية أو موارد الدولة. وهذا هو السر الذي يعجز تفسيره عند الكثير بان ما الدافع الذي يدفع هؤلاء الناس لتقديم كل ما يملكون في سبيل ارضاء الزائرين؟! وقصد الزائرون الى كربلاء لا يخلو من منافع اقتصادية كبيرة مرجعها للبلد نفسه، وهي تعزيز موقع العراق من خارطة السياحة الدينية في العالم، وكذلك الوفرة الاقتصادية للفقراء طيلة ايام الزيارة، وهذا ما اكده المختصون، ومنهم: الاستاذ رعد تويج رئيس هيئة الدراسة الاقتصادية في جامعة الكوفة قائلاً:

«ان للزيارة اثارا ايجابية على عموم اقتصاد العراق لان السوق العراقي سيكون مكاناً لإنفاق السياح، إنَّ هذه المناسبات ستكون فرصة للفقراء لادخار بعض مواردهم المالية وفرصة للتكيف في أعمال تتلاءم مع وضعهم إذ أنَّ هذه الزيارة ضاعفت الأعمال وخاصة النادرة في هذه الأيام المقدسة» (جريدة المستقبل، فقرة: مال واعمال، يوم الاحد الموافق ٢٣ كانون الاول سنة ٢٠١٣م). ويمكن ان الخص الابعاد والفوائد الاقتصادية المستخلصة من الزيارة الاربعينية كما ذكرها الشيخ الصمياني هي (الصمياني، الاربعين وفلسفة المشي: ص ١٠١ وبعدها):

اولاً: توفير فرص العمل:

كلما كان هناك زيادة في أعداد الزائرين كلما كانت هناك زيادة في عدد المشاريع السياحية في مختلف أشكالها وألوانها وبالتالي تحتاج مثل هذه المشاريع إلى أيدي عاملة تخلق لنا فرصة جديدة للعمل، ولا ريب أن الآثار المترتبة على زيادة فرص العمل وانخفاض معدل البطالة ستكون كبيرة جداً حيث تسهم في رفع المستوى المعيشي والرفاهي للفرد في داخل البلد.

وعلى أساس ذلك فإن أثر هذا القطاع على زيادة العمالة وتقليل أعداد البطالة كبير جداً خصوصاً إذا علمنا بتداخل هذا القطاع السياحي الديني مع بقية القطاعات الأخرى كالبناء والنقل والتغذية وغيرها.

ثانياً: زيادة رؤوس الأموال الأجنبية:

ومثل هذه الأموال يمكن لنا أن نتلمسها بشكل واضح على أعداد الزائرين لاسيما في زيارة الأربعين، ومن المعروف أن طرق دخول هذه الأموال إلى البلد يتم من خلال ما يلي:

١. تأشيرات الدخول للسياح إلى داخل البلد
 ٢. رؤوس الأموال الأجنبية الداخلة من خلال الاستثمارات الخاصة بالسياحة الدينية.
 ٣. الانفاق اليومي للسائحين.
 ٤. فروق التحويلات للعملة.
 ٥. إيرادات الفنادق والقطاعات السياحية الأخرى.
- ولا شك أن كل ذلك سوف يشكل عاملاً مهماً في نمو وازدهار هذا القطاع بشكل خاص والبلد بشكل عام.

ثالثاً: تنوع السلع التجارية وتطورها:

تتطور السوق التجارية في ظل أجواء الزيارات العامة لائمة أهل البيت (عليه السلام) وزيارة الحسين (عليه السلام) بشكل خاص يوم الأربعاء تبعاً لزيادة عدد الزائرين وتنوعهم سواء أكانوا من داخل البلد أو خارجه، فإنك سوف ترى ألواناً من السلع التجارية القادمة من خارج البلاد في شتى المجالات مما يفتح الأبواب أمام الناس في انتخاب الأحسن والأجمل منها وبأرخص الأسعار نتيجة التنافس الاقتصادي.

هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن هناك مجالاً واسعاً في تسويق المنتجات الداخلية بشكل كبير فضلاً عن تطويرها وتحسينها بالشكل الذي ينسجم وتلبية متطلبات السوق المتنوعة في هذه الفترة. لاسيما في زيارة الحسين (عليه السلام) حيث يرى الجميع بأم عينيه توزيع المنتجات الحيوانية كاللحوم والمنتجات الزراعية والنباتية الخضار والفواكه والمنتجات الصناعية كالألبسة والفرش والبطانيات وما شابه ذلك، وبشكل غير مسبوق وبكثرة ملفتة للنظر وبكرم يضرب به المثل.

ومع أعداد الملايين من الزائرين الذين تتوزع عليهم كل الخدمات السابقة، لاشك سوف يدعو كل ذلك المزارعين لزيادة الإنتاج وتنشيط المراعي الحيوانية لسد حاجات السوق ناهيك عن الثلجات والبرادات ووسائل التبريد أيام الصيف ووسائل التدفئة أيام الشتاء والبرد التي يحتاجها الناس بكثرة في تلك الفترة مضافاً إلى الهدايا والحاجيات التي يشتريها الزائرون من العراق ويأخذونها إلى بلدانهم.

المبحث الثالث البعد الاجتماعي

دراسة الانسان في بيئته الاجتماعية وتتبع تطوره مع تطور هذه المجتمعات التي يساكنها واللغة التي يفاهم بها والأشكال الأدبية والفكرية والفنية التي يعبر بها عن نفسه من التقاليد والاعراف التي يكتسبها من بيئته وتسمى هذه الدراسة بالاصطلاح الحديث ب «الأثروبولوجيا الاجتماعية» وتتجلى فائدة هذه الدراسات فيما يسمى الأثروبولوجيا التطبيقية أي علم تطبيق النتائج التحصيلية لهذه الدراسات على المجتمعات التي تحتاجها لتطوير أنظمتها وهياكلها التعليمية والاقتصادية ومؤسساتها السياسية والحضارية للحصول على مخرجات سليمة منبثقة من الواقع المسحي.

والمجتمع بطبيعته نسيج متفاوت في ما بينه من الألوان والثقافات والافكار والقوميات والأيدولوجيات والاذواق، فنرى الاستكبار العالمي ضمن اساليبه الخبيثة يحاول دائما تفكيك هذا النسيج وزرع الفرقة لخلق مجتمعات مترهلة عدائية فيما بينها، وذلك من خلال ايجاد الطبقة الاجتماعية او درجات المواطنة او النعرات الدينية وغيرها من تلك الاساليب البائسة. وتاريخ امريكا حافل بهذه المآسي، فمثلا:

في عام ١٦٦١، صدر كتاب بعنوان (العملاق) كتبه «يورو جاك» تضمن نصائح للقارات الانجلو ساكسونية المتزعمة للمهاجرين البروتستانت الى القارة الامريكية الجديدة، جاء فيه: إن اباداة الهنود الحمر والخلاص منهم ارخص بكثير من أي محالة لتنصيرهم او تمدينهم، فهم همج برابرة عراة، وبهذا يجعل تمدينهم صعبا، إن النصر عليهم سهل، أما محاولة تمدينهم فسوف تأخذ وقتاً طويلاً، وأما الإباداة

فإنها تختصر هذا الوقت، ووسائل تحقيق الانتصار عليهم كثيرة: بالقوة، بالمفاجأة، بالتجويع، بحرق المحاصيل، بتدمير القوارب والبيوت، بتمزيق شباك الصيد، وفي المرحلة الأخيرة: المطاردة بالجياذ السريعة والكلاب المدربة التي تخيفهم؛ لأنها تنهش أجسادهم العارية.

في عام ١٧٣٠ م، أصدرت الجمعية التشريعية «البرلمان» لمن يسمون أنفسهم: «البروتستانت الأتطهار» تشريعاً يقنن عملية الإبادة لمن تبقى من الهنود الحمر، فأصدرت قراراً بتقديم مكافأة مقدارها ٤٠ جنيهاً مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر، و ٤٠ جنيهاً مقابل أسر كل واحد منهم، وبعد خمسة عشر عاماً ارتفعت المكافأة إلى ١٠٠ جنيه! ثم وضع البرلمان البروتستانت «تسعيرة» جديدة بعد عشرين عاماً من صدور القرارات الأولى: فروة رأس ذكر عمره ١٢ عاماً فما فوق: ١٠٠ جنيه، أسير من الرجال: ١٠٥ جنيهات، أسيرة من النساء أو طفل: ٥٥ جنيهاً، فروة رأس امرأة أو فروة رأس طفل: ٥٠ جنيهاً.

في عام ١٧٦٣ م أمر القائد الأمريكي، البريطاني الأصل «جفري آهرست» برمي بطانيات كانت تستخدم في مصحات علاج الجدري في أماكن تجمعات الهنود الحمر، لنقل مرض الجدري إليهم بهدف نشر المرض بينهم؛ مما أدى إلى انتشار الوباء الذي نتج عنه موت عشرات الألوف منهم. وبعد عقود قليلة أنهى أمر السكان الأصليين في القارة الأمريكية إلى ما يشبه الفناء، بعد الإبادة المنظمة لهم على أيدي المبشرين بالمحبة، والسّلام للبشرية جمعاء! (كامل، أمريكا وإسرائيل وعقدة الدّم، ص ٥).

تاريخ أمريكا مليء بالعنصرية البشرية والطبقية الاجتماعية فلا يمكن لاحد أن ينكر هذه الحقائق، وجودها مبني على هذا الإجرام، وتريد أن تتعامل مع الشعوب

بهذه الآلية حتى تبسط نفوذها في المجتمعات المفككة، وهذا ما سعت إليه في العراق فقد أثارت التّعرّات الطائفية والقومية وأرادت بشتى الوسائل أن يتقاتل الشّعب فيما بينهم، لكن وجود المرجعية الدّينية العليا والقوى الوطّنية المخلصة حال بينهم وبين مخططاتهم الإجرامية. وتأتي الزّيارة الأربعينية بعدها الدّيني كعامل معزز لمناهضة المخططات الإجرامية التي يقودها الاستكبار العالمي، لم تختصر في العراق بحسب بل أعطت بعداً عالمياً في وحدة الصّف. ألخص البعد الاستراتيجي الاجتماعي في ثلاثة أمور هي:

أولاً: التّنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية هي عملية التعلم والتعليم، يتضمن التعلم اكتساب الطفل من خلال التقليد والمحاكاة والتعلم المقصود وغير المقصود، العادات والتقاليد والقيم والسلوكيات الاجتماعية والأفكار والرموز واللغة، وغيرها التي تمكنه من مسانرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها (همشري، التّنشئة الاجتماعية للطفل: ص ١٧).
فالتنشئة الاجتماعية حسب المفهوم الاجتماعي ما هي إلا تدريب الأفراد على أدوارهم المستقبلية ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع.

وللتنشئة الاجتماعية مفهومان الأول: مفهوم اجتماعي؛ إذ ينظر إليها من خلاله على انها عملية اندماج الفرد في المجتمع واشتراكه في مختلف فعاليات المجتمع، وذلك عن طريق استيعابه لعناصر الثقافة والمعايير والقيم الاجتماعية التي تتكون على اساسها سمات الفرد ذات الاهمية الاجتماعية. والثاني: مفهوم أنثروبولوجي؛ إذ ينظر إليها من خلاله بانها عملية غرس المهارات والاتجاهات الضرورية لدى الناشئ، ليلعب الادوار الاجتماعية المطلوبة منه في جماعة او مجتمع ما (بدران، اسس التربية: ٥٥-٦٣).

والمعنيان أنفا الذكر متحققان في مراسيم الزيارة فنلاحظ بان الطفل والشاب والكبير مندمجون تماما في تأدية مراسيم هذه الزيارة من خدمة او مشي او عمل تطوعي وكما ان جميع المهارات القيمة تغرس في نفوس هؤلاء الناشئة، وهذا ما نراه جليا ان في كل سنة يخلق جيلاً طيباً ناشئاً على حب هذه المراسيم والشعائر .

ثانياً: الثقافة الاجتماعية.

تعتبر الثقافة الاطار والمضمون الفكري الذي يحدد للمجتمع سماته المميزة عن غيره من المجتمعات، اذ تحمل بين طياتها السمات الاجتماعية المتوازنة والمستجدة، وتعبير ايضا ثمرة النشاط الفكري والمادي الخلاق والمرن لدى الانسان (ابو عمشة، الثقافة والتغير الاجتماعي: ١)

ويمكن للفرد ان يكتسب ثقافة مجتمعه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها المختلفة التي تتولى عملية نقل الانجازات الثقافية للأجيال المتعاقبة وأنه بوساطتها يتعلم الفرد المتطلبات الاجتماعية والثقافية التي تجعل منه عضوا فاعلا في المجتمع (ابو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية: ١١٧). ويمكن القول ايضا بان الانسان محكوم لدرجة ما في تصرفاته وعلاقاته بالمضمون الثقافي للجماعة وان التنشئة الاجتماعية تعني بمدى تماثل الفرد مع ما هو متوقع ثقافيا اي الاشياء او الامور التي تسمح بها ثقافة المجتمع مع تمتعه بدرجة من الحرية تجعل منه مصدرا لتغيير الثقافة وتجديدها (عثمان، مقدمة في علم الاجتماع: ١٥٣).

لقد نجحت ممارسة زيارة الاربعة المباركة بالتأسيس لحزمة من النشاطات الجماهيرية الباهرة، من خلال زرع الثقافة التوعوية ومفاهيم الدينية في نفوس الملايين

من الزائرين سواء من داخل العراق او من البلدان الاخرى، فهي لم تعد طقسا دينيا للمشي فحسب بل تمثل مكسبا عظيما على صعيد الثقافة والاجتماع والتنمية للعالم الاسلامي بنحو عام وللعراق الذي يحتضن هذه الممارسة بنحو خاص، فضلا عن كونها رسالة عالمية تدعو لمد جسور التواصل بين الشعوب والثقافات، ونشر قيم التسامح والمودة والسلام» (السَّاعدي، زيارة الاربعين دلالات وآفاق: ١٤).

ثالثاً: العدالة الاجتماعية :

في كل بلد توجد ثمة أنساق للتراتب الهرمي الاجتماعي، ترسم الخارطة الطبقيّة للمجتمع، فإن أصحاب الأملاك والأراضي هم الاقطاعيون، وأصحاب الثروة من التجار هم الرأسماليون، وأصحاب المعامل هم البرجوازيون، وشيوخ العشائر هم القبليون، وكبار الموظفين هم البيروقراطيون، وطبقة الفلاحين وطبقة العمال البرؤليّتاريّتين، فضلا عن طبقة رجال الدين هم الشيوقراطيون تشكل جميعها التراتبية الهرمية في المجتمع العراقي (المخزومي، زيارة الاربعين دراسة سوسولوجية ميدانية: ٣٣١). وكذلك اذا ما نظرنا الى الأنساق الأخرى كاللغة والعرق والثقافة الذي يشكل نوعا اخر من التراتب المجتمعي المهم.

فهذه فوارق اجتماعية تُعامل في كل طبقة من هذه الطبقات وفق المكانة التي تحتلها في المجتمع من حيث الواجهة والتقديم والتفضيل في ما بينها، مما يحدث طبقيّة مقبّية احيانا واندثار للمعيار الحقيقي الذي سنه الله تعالى بين الناس وجعل التفاضل على اساسه، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فمن ميزة مجتمع الزيارة أن يستبعد المقومات الطبقيّة ومعطياتها السلوكيّة؛ بل إنّها تذوّب في وجه الأنساق التي تفرضها قيمّ الزيارة، ورمزيتها المقدّسة في شعور واحد، كالخيط الذي ينظم حبات المسبحة، يعبر عن وعيها بتاريخيّتها، ومسؤوليّتها تجاه توصيل صوت واحد، يجمع بين الصبغتين الدنيويّة والاجتماعيّة، ثم أن بيئة الزيارة تخرج طبقات المجتمع من بوتقة الصراع، ودائرته الكبرى، وتنشد الى الشعور بالمساواة، من خلال التكيف مع البيئة وقبول الآخر، والتفاهم معه الى حد الانسجام والمواءمة التي تنتج قيم الانضباط الشخصي، وخدمة الوافدين، وما إليه من معاني التضحية والإيثار (المخزومي، زيارة الاربعين دراسة سوسولوجية ميدانية: ٣٣٢). وهذه الميزة التي تتفرد بها زيارة الامام الحسين (عليه السلام) هي عامل قوة في مواجهة الاستكبار العالمي الذي ابنتى سياسته على خلق الطبقيّة واثارت القضايا الخلافية في المجتمعات لإضعافها واستغلالها.

المبحث الرابع البعد الأخلاقي

من اهم الاسس التي تنطلق منها الامم في تخليد حضارتها واصلاح واقعها واستشراف مستقبلها هي القيم الاخلاقية، لما تمثله من تنظيم لسلوك الانسان متعلق بالفرد تارة والآخرين تارة اخرى، فلذا هي محل اهتمام الاديان السماوية والوضعية على حد سواء. والذي يخرج عن هذا الاهتمام فهو خارج عن فطرته الانسانية التي جبل عليها وستبدل تلك القيم بعدمها أي بمفاهيم الانحطاط والانحلال وعندها يخرج الانسان من طور الانسانية الى طور البهيمية التي لا شغل لها الا علقها وشهواتها، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩]. واجمل ما قيل في الشعر من وصف الاخلاق ما قاله امير الشعراء احمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والاستكبار العالمي الذي خرج بدوره عن الفطرة الانسانية وهبط الى الانحطاط الاخلاقي يسعى جاهدا نشر كل ما له صلة في الانحراف والمفاسد وذلك بفتح قنوات المجون ومواقع الاباحة والتثقيف الى المثلية وجعلها حقا يمارس ويطالب به، وكذلك اشاعة الميوعة والشذوذ في اوساط الشباب وغيرها من المفاهيم الفاسدة، والغاية منها خلق مجتمع لا يكثرث لكل ما يجري حوله، والغاية من ذلك يستطيع الاستكبار من خلال ما تقدم ان يمرر كل مشاريعه الاجرامية من الاحتلال والسيطرة وبسط النفوذ على الشعوب دون مقاومة او رفض له.

وتأتي الزيارة الامام الحسين عليه السلام في الأربعين تعزيز هذه القيم الانسانية والاخلاقية في المجتمع العراقي بل حتى المجتمعات الاخرى ممن يوفد سكانها الى كربلاء المقدسة، فتكون بمثابة دورة تأهيلية لتنمية الطاقات الكامنة، وتكريس المبادئ في نفوس اصحابها. كعامل وقائي يحول بين الفرد وما يريده الاعداء في تميم الهوية الدينية لانحراف الشباب عن الطريق القويم. والخص هذه القيم الاخلاقية كبعد استراتيجي يمكن اعتماده عاملا لمناهضة الاستكبار العالمي في تحصين الامة من مشاريعه الشيطانية في أمور هي:

أولاً: الايثار.

من المفاهيم السامية والقيم العالية في السلوك الانساني ان يؤثر الفرد على نفسه الاخرين. وهذا يعني بان حب النفس النابع من الانانية يتلاشى في موضوع الايثار. وقد مدح الله تعالى هذه الميزة عند المسلمين الاوائل، حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. بيانها والنص عليها يعكس مدى اهميتها كقيمة اخلاقية تنظم السلوك الانساني الاجتماعي.

واذا اردنا ان نطبق هذا المفهوم التربوي السلوكي في مراسيم زيارة الاربعين، فليس من المبالغة بشيء اذا قلت بان الزيارة اساسها الايثار وقوامها البذل وجوهرها التعاون. فنجد بان الفرد يبذل كل ما عنده في ارضاء الزائر رغم حاجته واحتياجه لها، وهذه الحقيقة لا يحتاج لها برهان او اثبات دليل فهي واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار. عليه: «فان ظاهرة زيارة الاربعين المباركة تكشف عن حالة من

التعافي الكبير في جسد اتباع اهل البيت (عليه السلام) في حقل السلوك الاجتماعي الايجابي حتى امكن القول: ان ظاهرة زيارة الاربعين المباركة تمثل معاملا اخلاقية ضخمة لإنتاج السلوك الايثاري، ومختبرات عظيمة لفحص واختبار ودراسة السلوك الانساني المتعلق بالبذل والتعاون وتقديم المساعدة الى الاخرين» (الساعدي، زيارة الاربعين دلالات وافاق: ١٠٠).

ثانياً: العزة.

كثير ما اكد الله تعالى على مفهوم العزة في القرآن الكريم، وجعلها من الصفات التي يتصف بها بوصفها كمال له تعالى، والله تعالى هو مستجمع للكمالات الاخلاقية فينبغي ان يتصف بها، قال تعالى ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس : ٦٥]. وهذه الصفة الكمالية الاخلاقية افاض بها على المؤمنين خاصة لما تمثل من مضامين تربوية سلوكية لهم، وقرنها بعزته تعالى وعزة رسوله قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون : ٨]. وقد نص الله تعالى عليها لما تحويه من قيمة سلوكية تحصن الفرد من الطرف المضاد لها وهي «الذلة» لان فيها هدر للكرامة ومصادرة للحرية وضياع للحقوق. فهي من الامور المحرمة ولا يجوز بشكل من الاشكال ان يكون الانسان ذليلاً صاغراً. لذا روي عن الامام الصادق انه قال: «إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه» (الكليني، فروع الكافي، باب: كراهة التعرض لما لا يطيق، رقم الحديث: (٣)).

وإذا معنا النظر في زيارة الامام الحسين (عليه السلام) في الاربعين نجد انها في اسمى صور العزة والشموخ في إعلاء مذهب اهل البيت ، فقد اكتسبت الشيعة في العراق وخارجه قوة من اداء تلك المراسيم واستطيع القول: «لقد نجحت ممارسة زيارة

الاربعين المباركة بالتأسيس لحزمة من النشاطات الجماهيرية الباهرة، حيث عملت على الملمة شتات الموالين لأهل البيت وتعزيز انتمائهم لعقيدتهم المضطهدة، وتوثيق اواصر الوحدة والتالف فيما بينهم، وعكس مظاهر القوة المعنوية والمادية التي يتوفرون عليها عبر نشاطات شتى يقومون بها اثناء موسوم الزيارة، مضافا الى اتاحتها الفرصة لهم لتعبير عن رفضهم للظلم والقهر والاستكبار السياسي الذي لحقهم من الحكومات والدول المختلفة» (الساعدي، زيارة الاربعين دلالات وافاق: ١٣)

ثالثا: الرضا والتسليم.

يعد مفهوم الرضا والتسليم من أفضل مقامات الدين، وأشرف منازل المقربين، وهو باب الله الأعظم الذي يرجاه كل مؤمن ومؤمنة، كما أنه أكبر مكانة من الجنة نفسها، قال تعالى ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم [التوبة: ٧٢]، وقد سعى الأنبياء جاهدين في تحقيق هذا المفهوم وتحصيله، فجاء في طلب زكريّا قال تعاليرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيا [مريم : ٦]، ومن هنا أولى العارفون والسالكون إلى الله تعالى اهتماما بالغاً لمفهوم الرضا لما يترتب عليه مقامات كمالية، ونتائج عمليّة في السلوك الاخلاقي.

ويصنف الرضا والتسليم كمفهومي للخلق السامي والتعامل الرفيع بل عده الله تعالى شرطاً للإيمان في تقبل حكم النبي، قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: ٦٥]. فاستطيع القول بان كلا الرضا والتسليم هما يمثلان اخلاقية الايمان التي ينبغي لكل مسلم ان يتصف بها.

والزيارة الاربعينية المباركة حاوية لكل معاني الرضا والتسليم بل تقوم على هذا الاساس سواء كزيارة تقرا في يوم الاربعين او كسلوك واقعي يتمثل في اداء الزائرين ومن يقوم بخدمتهم. فقد روي الامام الصادق في زيارة الاربعين قائلاً: «واشهد اني بكم مؤمن وبايا بكم، موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبك سلم وامري لأمركم متبع ونصرتي لكم معدة حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم» (الطوسي، تهذيب الاحكام: ج ٦: ١٢٦). هذا على المستوى النظري فان كل من قصد الامام الحسين وسلك هذا الطريق من الزوار والخدم لهم هم في غاية الرضا والتسليم والانقياد لهذا العمل.

رابعاً: الكرم.

من المفاهيم الاخلاقية والسلوكية التي ينبغي ان يكون صفة للمؤمن هو الكرم، ويصنف الكرم على انه شجاعة لما فيها من تحدي للنفس التي بطبيعتها الحرص والبخل. وقد قص الله تعالى خبر ضيافة النبي ابراهيم وطبيعة كرمه، قال تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ [الذاريات: ٢٤ - ٢٦]. وجاء عن الامام الصادق انه قال: «أتى رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أفضلهم إيماناً؟ فقال: أبسطهم كفاً» (الكليني، فروع الكافي، باب: معرفة الجود والسخاء، رقم الحديث: (٧)).

والحديث عن الكرم في زيارة الاربعين حديث لا استزاده فيه ولا بيان لوضوحه وبيانه، وانقل هنا موقفاً واحداً نقله الدكتور المخزومي قائلاً: أن جماعة قبلية كانت تطلب ثأراً عشائرياً في جماعة مجاورة لها، ولما رأوا أن جيرانهم الذي لهم السبق على

الجادة، حظوا بعدد من الزائرين الى كربلاء، دخلوا في ضيافتهم، أرسلوا لهم خبرا مفاده: أن لو تنازلوا عن نصف الزائرين، وترسلوهم إلينا لإكرامهم، حينها نستطيع أن نسقط «الطلابة العشائرية» (المخزومي، زيارة الاربعين: ٣٥٤).

لا شك فيه بان هذه الصفة الاخلاقية «الكرم» لها اثر كبير في الوافد على كربلاء، فهي من جهة تعكس الطبيعة العراقية التي يتفرد بها كما انها علاقة وثيقة تربط ابناء المذهب الواحد من داخل العراق وخارجه. وعلى هذا الاساس حدث كثير من التعارف بين الضيف والمضيف وتطورت علاقات الى المصاهرة وغيرها.

النتائج

وبعد الانتهاء من بيان الابعاد الاستراتيجية المستخلصة من زيارة الاربعين في مناهضة الاستكبار العالمي، اود تقيد اهم النتائج التي توصلت اليها من خلال ما تقدم.

١. ان الدين الاسلامي هو شريعة وسياسة فلا يمكن بشكل من الاشكال ان نجرده خصاصه فتجريده يعني فصل الحياة عنه وجعله دينا انزوائيا لا يكثرث للواقع الذي يعيش من يدن به. وهذه اجابة لكل من يقول بان الزيارة شعيرة دينية لا علاقة لها بالسياسة!. فالإصغاء لهذه الشبهة هو تفرغ الدين من محتواه الحقيقي الذي جاء من اجله.

٢. زيارة الامام الحسين عليه السلام في الاربعين من صفر هي نعمة ليس بعدها نعمة فيجب علينا ان نحافظ عليها بشتى الطرق ولا ينبغي لنا ان نفرط بها، وكذلك يجب علينا استثمارها استثمارا يليق بهذه الجموع الهائلة التي يعجز الانسان عن ملمتها باتجاه واحد مع تعدد الثقافات والاذواق والبلدان.

٣. كل المحاولات والاساليب التي يستعملها الاستكبار العالمي في محاربة الدين والمذهب سواء بين المذهب الواحد من اثاره القومية وغيرها، او بين المذاهب من اثاره الطائفية وغيرها. فالزيارة الاربعينية هي من تفشل تلك المخططات وتذيب كل الخلافات وتجعل من القاصدين الى كربلاء كالجسد الواحد لا عنوان يعلو على عنوان الزائر.
٤. الابعاد الاربعية التي تناولتها في الدراسة هي صالحة ان تكون اطروحة دكتوراه، او كتاب مستقل لما فيها من الامور التي تعذر عليّ استعراضها في هذا الدراسة المختصرة، فأدعو من الله تعالى ان يوفقني واكمله كتابا ابين فيه كل ما له صلة بهذه الابعاد الاربعية.
٥. نأمل من المؤسسات العلمية والعتبات المقدسة والجامعات الاكاديمية الى تكثيف جهودهم الى عقد المزيد من المؤتمرات العلمية حول زيارة الاربعين لما تحويه من اهمية بالغة في تصدير صورة المذهب الشيعي الى الاخر بوصفها ظاهرة استثنائية يتفرد بها المذهب الشيعي دون سواه من المذاهب والاديان. وهذه المؤتمرات يكون للمثقف دور كبير في نقاش هذه الظاهرة وتصديرها بوجه علمي يكون اكثر قبولا عند البعض.

قائمة المصادر

- خير ما نتدى به القرآن الكريم.
١. ابن قولويه القمي، ابو القاسم جعفر بن محمد، كامل الزيارات: (منشورات الرضا- بيروت)، ط١، ٢٠٠٨م.
 ٢. ابو جادو، صالح محمد علي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية: (دار الميسرة- الاردن)، ط٢، ٢٠٠٠م.
 ٣. ابو عمشة، ابراهيم صقر، الثقافة والتغير الاجتماعي: (دار النهضة العربية- بيروت)، ط١، ١٩٨١م.
 ٤. بدران، شبل، اسس التربية: (دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية)، ط١، ١٩٩٨م.
 ٥. الحمداني، عمر حميد عبد، الابعاد الاستراتيجية الاوربية في الشراكة الاورومتوسطية: دراسة ماجستير مقدمة لعمادة عمادة الدراسات العليا، سنة ٢٠١١م.
 ٦. زيتون، وضاح، المعجم السياسي: (دار اسامة للنشر والتوزيع- الاردن)، ط١، ٢٠١٠م.
 ٧. السَّاعدي، محمد عبد الرضا هادي، زيارة الاربعين دلالات وآفاق: (باقيات- د.م) ط٤، ٢٠١٧م.
 ٨. الصمباني، حيدر، الاربعين وفلسفة المشي الى الحسين عليه السلام: (العتبة الحسينية المقدسة- كربلاء)، ط١، ٢٠١٥م.
 ٩. الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الاحكام في شرح المنفعة: عثمان، ابراهيم، مقدمة في علم الاجتماع: (دار الشروق- الاردن)، ط١، ١٩٩٩م.
 ١٠. كامل، عبد العزيز بن مصطفى، أمريكا وإسرائيل وعقدة الدَّم: (دون هوية).
 ١١. الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي: (منشورات الفجر- بيروت)، ط١،

٢٠٠٧م.

١٢. الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية: (المؤسسة العربية للدراسات - بيروت)، د.ط، د.س.

١٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار: (دار احياء التراث العربي - بيروت)، ط٣، د.س.

١٤. المخزومي، صادق، زيارة الاربعين دراسة سوسولوجية ميدانية: (مؤسسة اديان للثقافة والحوار - النجف الاشرف)، ط١، ٢٠١٨م.

١٥. النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: (دار الاميرة - بيروت)، ط١، ٢٠٠٥م.

١٦. النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: (انتشارات دليل ما - قم المقدسة)، ط٢، ٢٠١٠م.

١٧. همشري، عمر احمد، التنشئة الاجتماعية للطفل: (دار صفاء للنشر والتوزيع - الاردن)، ط٢، ٢٠١٣م.

١٨. الهنداوي، محمد، مجمع مصائب أهل البيت (شريعة - قم المقدسة)، ط١، ١٤٢٥هـ.

الخطابات:

١. خطاب الإمام الخامنئي (دام ظله الوارف).

٢. خطاب السيد الشهيد محمد الصدر (قدس سره الشريف).

الصحف:

- جريدة المستقبل اللبنانية.